الفصل الرابع

الدراسات السابقة حول صورة العرب والمسلمين في الإعلام والكتب الدراسية الإسرائيلية

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمـة

هذا الفصل يعنى بمراجعة البحوث والدراسات السابقة التي تناولت هذا المجال وذلك للتأكد من أنه لم يهمل بعض العناصر التي اتضح في الدراسات السابقة أن لها أثرًا على موضوع هذا المؤلف، وللتعرف على أهم العوامل التي ينبغي أن يتضمنها لتحقيق التكامل بين المعلومات التي سيتم الحصول عليها من خلال العمل الحالي وما تم الحصول عليه في البحوث السابقة، وكي نتمكن من بناء إطار جيد لمواصلة فحص المشكلة مناط البحث وذلك من خلال تحقيق النقاط الآتية:

1 – التأكد من أن جميع العوامل ذات العلاقة القوية بموضوع البحث لم تغفل وقد تضمنها البحث.

2 – تكوين بناء نظري شامل لموضوع البحث.

3 – تجنب تكرار الوصول إلى الأمور التي سبق الوصول إليها إلا فيما يستدعي التأكيد أو الإيضاح أو التثبت العلمي.

obeikandi.com

4 - الوقوف على مساحة الاهتمام في الأدبيات التي حظي بها موضوع البحث.

الدراسات السابقة المرتبطة بصورة العرب والمسلمين في الكتب الدراسية الإسرائيلية

يقول السيد وآخرون (2007) في دراسة حديثة لمجموعة من مقررات القراءة والتاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية في تعليم إسرائيل أن مناهج التعليم الإسرائيلية تتبنى موقفاً عدائيا من القرآن الكريم ، وأن الإسلام لم ينتشر إلا بالقوة، وأن الخطاب التربوي الإسرائيلي لايتسم بالحياد والموضوعية تجاه الإسلام، بل يهدف إلى غرس وتكثيف فرضيتين رئيستين في عقل الطالب الإسرائيلي ، هما : أن العقيدة الإسلامية في حقيقتها تشويه للعقيدة اليهودية من جهة، وأن النبي محمداً - صلى الله عليه وسلم - لا يعدو كونه شخصاً يدعي النبوة من جهة أخرى . وتقول عبدالعال(2005): إن مناهج إسرائيل تتبنى العنصرية ضد العرب.واتفق كل من رشيد (2003) والبحراوي (2003) على أن مناهج التعليم في إسرائيل تلقن الصهيونية للطلاب في إسرائيل. وفي الندوة التي عقدتها كلية التربية في جامعة الملك سعود في الرياض عام 2004 اتفق كل من منتصر وحسين و دبيكي والبغدادي والقبلاوي وسمعان(2004) عل أن مناهج التعليم في إسرائيل تتطاول على المقدسات الإسلامية وتتبنى العنصرية ضد العرب.

ويؤكد (حسن، 2003) أن النظرة الصهيونية للأخيار لا تستثني المواطنين العرب في الدولة اليهودية. فالعرب في الكيان الإسرائيلي لا

يتمتعون بحقوق المواطنة. وهم محرومون من معظم الخدمات، ومن معظم الحقوق التي تثبت أنهم مواطنون، وهم ليسوا متساوين أمام القانون مع اليهود، ولا يتمتعون بالحقوق نفسها في المجالات الاقتصادية والسياسية والتعليمية والصحية والاجتماعية.

ويبين (البغدادي،2003) أن كتاب «من جيل إلى جيل» الذي يدرس ضمن مادة التاريخ لطلبة المدارس الدينية الحكومية (الجزء الثاني) يشير إلى أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وصف بالحقد وكراهية اليهود. كما يشير إلى أن القرآن الكريم شريعة العرب وحدهم. وأن سبب احتفال المسلمين في نهاية شهر رمضان بعيد الفطر مدة ثلاثة أيام وإكثارهم من الصلاة والزكاة هو بسبب تكفيرهم عن الخطايا والذنوب التي ارتكبت خلال هذا الشهر الكريم. أما فريضة الحج فإن سبب فرضها على المسلمين أن محمداً أدرك أنه من الصعب إلغاء عادة قديمة هي الذهاب للكعبة، وتلك العادة كانت منتشرة بين العرب، ولذا فقد غير محمد هذه العادة الوثنية القديمة، وصب فيها مضامين جديدة مثل الطهارة والطواف والوقوف بعرفة، ثم عيد الأضحى.

ويوضح البغدادي أن مؤلفي الكتاب كلما أرادوا الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم فإنهم كانوا ينسبونها إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فكأن هذه الآيات، هي من كلام الرسول وليست وحياً من الله عز وجل. ويضيف البغدادي أن الكتاب ذكر أنه بعد توقف الحروب، واستقرار الأوضاع، تولى الحكم عدد من الخلفاء الحاقدين الذين أثاروا موقف اليهود، واتخذوا قرارات أثرت تأثيراً سيئاً في اليهود، وتسمى قرارات عمر. كما تضمن الكتاب عدداً من الآراء السلبية عن العرب والمسلمين

بصفة عامة، منها: ما ذكره عن تصارع المسلمين على خلافة سيدنا - محمد صلى الله عليه وسلم - والخلاف بين الشيعة وأهل السنة. ونظر مؤلفو الكتاب إلى الجزية باعتبارها تشكل نوعاً من الظلم الذي فرضه المسلمون على أهل الذمة. وتحدث أيضاً عما أسماه مساوئ فرض الخراج (ضريبة الأرض الزراعية). كما تحدث عن عدم كفاءة العرب لحكم البلاد التي فتحوها، وأن الملوك المسلمين في غرناطة غير قادرين على حماية اليهود وحتى حماية أنفسهم وملكهم». ويسمي الفتح الإسلامي للأندلس «احتلال» تسبب في انتشار الفوضى ومقتل العديد من الأشخاص ومصادرة الكثير من الأراضي، وتحويل كنائس عديدة إلى مساجد». و أن الهدوء لم يعد للأندلس، لأن المحتلين المسلمين كانوا منقسمين إلى قبائل، ونشبت صراعات بين قادة الجيش من أجل الوصول إلى الحكم. وتحدث عما أسماه المعاملة السيئة للمسلمين البربر لليهود في الأندلس.

ويذكر الكتاب أنه عندما أحس الحكام المسلمون في الأندلس أن الخطر يتهددهم، طلبوا مساعدة المسلمين في شمال أفريقيا. وعلى إثر ذلك دخلت قبائل البربر المسلمين الأندلس، وتعقب البربر بوحشية أبناء الديانات الأخرى من غير المسلمين، وبخاصة اليهود، الذين كانوا الأكثر تضرراً، فقتل منهم كثيرون وفر عدد كبير منهم شمالاً طلباً للحماية في البلاد المسيحية. ويزعم أن الإسلام هو دين السيف. ويشكك الكتاب في أن يكون سيدنا إسماعيل عليه السلام أباً لكل قبائل العرب. وقد احتال مؤلفو الكتاب للبحث عن دور لليهود في بعض الأحداث الإسلامية والعالمية، وعمدوا إلى إبراز هذا الدور وتعظيمه والمبالغة فيه، من ذلك، يقول الكتاب: «إن الحكام المسلمين لم يكن لديهم في البداية أي خبرة

في إدارة الدولة، ولذا اضطروا للاستعانة بخدمات اليهود، فأبقوهم في وظائف مهمة في بلاط الخليفة، وفي إدارة خزانة الدولة. وأن اليهود كانوا يقرضون بعض الخلفاء والوزراء. وأن لليهود دوراً في التجارة العالمية. كما زعم الكتاب أن لليهود دوراً في فتح بلاد الأندلس.

ومضى فتحدث عن إسهامات اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس، فذكر أن من اليهود من تولى قيادة بعض الجيوش الإسلامية. وتحدث في موضع آخر عن إسهامات اليهود في الترجمة، فذكر أن الخليفة عبد الرحمن الثالث استعان بعدد من المترجمين ليترجموا بعض أمهات الكتب الأجنبية إلى العربية، فكان من بين المترجمين عدد من اليهود. والكتاب – كما يقول البغدادي – يزخر بالعديد من الرسوم التي تتناول جسم سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – ما عدا الوجه. وتتناول أيضاً بعض الخلفاء الراشدين والصحابة – رضى الله عنهم أجمعين – كما عقد مؤلفو الكتاب العديد من المقارنات الخاطئة وتغيير بعض المفاهيم، القصد منها إعلاء شأن اليهود واليهودية. فعلى سبيل المثال أبدلوا تسمية «الهجرة النبوية» وسموها الهروب. وفتح مكة سمي احتلالاً. والشيء نفسه يقال عن فتح بلاد الشام، وفتح الأندلس.

ويذكر (البازعي، 1988) أن الصورة المشوهة للمسلمين عموماً والعرب بوجه خاص أمر طبيعي بالنسبة لليهود، لأن من خصائص تشكل تلك الصورة أنها تخدم مصالح عليا يعبر عنها الخطاب الصهيوني الثقافي السائد. ولا تجدي معها دعوات الاعتدال. لكن المتوقع والحاصل فعلاً كما يتضح من البيانات والجداول المنشورة هو تكثيف التشويه وتنظيمه. فكما يرى المخططون التربويون الإسرائيليون

أن بعض الأفكار المبثوثة في مناهج التعليم هناك حول الفلسطينيين من شأنها دعم التوازن النفسي لدى الطفل الإسرائيلي الذي يعرف عن طرد أولئك من أراضيهم، والكيفية التي يعاملون بها باستمرار. إننا بتعبير آخر أمام مجتمع يصوغ نفسه لقتال متواصل ويهيئ أطفال المدارس لحرب ثقافية قبل أن تكون عسكرية. ويوضح البازعي أن المعلومات المتوافرة عن التعليم العالي في إسرائيل تؤكد مقولة إن إسرائيل عبارة عن مجتمع غربي نقل بخبرات الحضارة الغربية. فضخامة وقدم الجامعات والمعاهد ومؤسسات الأبحاث الإسرائيلية لا تدل على مجتمع نامٍ بل مجتمع مكتمل النمو تقريباً.

أما (هويدي، 1975) فيقول إن صورة العربي في الأدب العبري الحديث لا تنبّئ أن السلام أو التعايش بين العرب والإسرائيليين يمكن أن يتحقق يوماً ما. فالإدراك الإسرائيلي تم تشكيله بصورة تقطع الطريق على ذلك الاحتمال حتى أحسب أن أي كلام عن السلام لن يكون جاداً ما لم تتغير تلك الصورة المنفرة التي تتعمد العداء وتؤجج ناره، ويوضح أن العربي في القصص العبرية الموجهة للأطفال بدا مشجباً لأحط التهم وأسفل الصفات.

ويبين (حسن، 2003) أن صورة الإنسان العربي في المناهج التعليمية الإسرائيلية موجهة وتم تنميطها. وتسعى الصهيونية بشكل عامّ وآلتها الإعلامية بشكل خاص إلى تشويه الشخصية العربية إجمالاً والفلسطينية تفصيلاً، وجعلها في مرتبة دنيا وربطها بمفاهيم العنف والقتل والسرقة والنهب. حيث تظهر أن فلسطين العربية قبل أن يصل إليها الصهاينة كانت مكاناً تنتشر فيه السرقة والنهب. وأن المقاتل

obeikandl.com

العربي جبان حيث إنه يهرب عند المواجهة مع اليهودي في ساحات القتال وقد ثبت ذلك وبالتحديد قبيل حرب عام 1948م.

ويقول (عبد الواحد، 2003) في معرض تحليله كتاب: «تحولات في جغرافيا الشرق الأوسط: ما يسمى إسرائيل»... الذي يدرس للصف الثالث الثانوي أنه يظهر بوضوح النظرة السلبية للعرب والمسلمين؛ فتم تصوير العرب والمسلمين على أنهم متخلفون في الزراعة والصناعة، ولا يجيدون التعامل مع التقنيات الحديثة. وهم أيضاً بدو رحل لا يعرفون كيف يستغلون الثروات التي حباهم الله إياها. كما قال إن الشريعة الإسلامية ونقاب المرأة والحروف العربية كانت ستحول دون التطور في تركيا لذلك تخلص منها أتاتورك.

و يقول (عبد الجواد، 2003) إن التعليم في إسرائيل يسهم كذلك في تشكيل شخصية الدارسين من خلال الحديث عن معاداة السامية، فهو بهذا الحديث يغرس في نفس الدارسين مفهوم أن الكل متربص باليهود وأن الجميع يكرهون اليهود لا لسبب سوى كونهم يهوداً، ويضيف أنه مما لا شك فيه أن الدارس في هذه الفئة العمرية لا بد وأن يتأثر أيما تأثر بمثل هذا الكلام ويتخذ موقفاً مسبقاً تجاه غير اليهود بأن يضمر لهم الكراهية والعداء. ويضيف عبد الجواد أن هذه هي الطريقة التي يربي بها الإسرائيليون أولادهم على المفاهيم المغلوطة التي من شأنها أن تخلق جيلاً عنيفاً وجيلاً لا يعرف السلام ولا يقيم علاقات المحبة مع جيرانه من الدول العربية.

ويقول (منصور، 1974) إن الأدب الصهيوني يعج بالادعاءات العنصرية ضد العرب. فعلى سبيل المثال وصف الكاتب الإسرائيلي

اليهودي «عاموس لوزى» العرب في قصته «وحدهم دائماً.. ولكن فوق»، بأنهم «وحوش».. يأكلون اليهود أحياء دون أن تسقط منهم قطرة دم.

وضمن هذا السياق يرى (أبو الخير، 2001) أن إسرائيل، تتبرأ من العرب وتهاجمهم جميعاً، بحجة جاهزة، وهي تهمة معاداة السامية، لأن مناهج التاريخ تدعو للجهاد المقدس في البلدان العربية التي لم تعقد معها معاهدات سلام، وحتى مصر، فإن إسرائيل طلبت كثيراً عدم شرح النصوص القرآنية التي تفضح خيانة اليهود للعهود والمواثيق، وليس التآمر على البشر فقط، ولكنها تمتد حتى للتآمر على الأنبياء.

ويرى (عبد العال، 2002) أن المناهج الدراسية الإسرائيلية تصف العربي المسلم بأنه لص، فهو يسرق لأن ذلك في طبعه، وبخاصة من اليهود. كما أنه متوحش غدار، يغدر حتى بأهله وأقاربه، كما تصفه بالغباء ودائماً يجب أن يعلمه شخص غير عربي ما الذي يجب أن يفعله، وما الذي يجب أن يرتديه. وهو كذلك لا يمكن الاعتماد عليه حتى في أبسط الأمور.

ويقول (رشيد، 1998) إن اليهود يضمّنون كتبهم افتراءات كثيرة على العرب بهدف ترسيخ العداوة والحقد في نفوس الطلاب اليهود. فعلى سبيل المثال يتم ترسيخ فكرة تخطيط العرب لإبادة اليهود ورميهم في البحر وأن أغراض العرب الظاهرة ليست فقط احتلال المنطقة الإسرائيلية، ولكن أيضاً إبادة اليهود بشكل شامل. وتدخل قصص الأطفال ضمن الحرب النفسية التي تقوم بها السلطات الصهيونية لتقوية نفوس أبنائها وتعزيز موقفها وغرس روح العداء

والتفوق والاستعلاء في نفوس الأطفال. (رشيد، 1998). ويضرب مثالاً على ذلك ما تضمّنته سلسلة «داني دين» للأطفال التي تعتمد على الخيال المفرط لغرس الحقد والعداوة ضد العرب وتعزيز الثقة بجهاز الأمن الإسرائيلي وبذر روح الشك في نفوس الأطفال بالحذر من العرب الجواسيس الذين ينتحلون أسماء عبرية ويتحدثون اللغة العبرية. وهذا يؤدي إلى أن ينشأ الطالب اليهودي صهيونياً عنصريا عدواني النزعة.

ويوضح (حسن، 2003) في هذا الصدد أن الخطاب اليهودي الصهيوني مخادع. فهو يتحدث عن شعبين وليس عن شعب واحد ينتمي إلى دولة واحدة تدعي أنها دولة ديموقراطية. وفيه إصرار على الانفصال والعزلة، لا الاندماج والمشاركة في المواطنة. ويذكر حسن أن هذا الخداع يظهر في الخطاب الرسمي الذي يبدي الود مع غيره لكنه لا يعني ذلك الود. ومن أهم نقاط ذلك الخطاب الرسمي ما يأتي:

1 - وصف حياة اليهود والعرب داخل إسرائيل بأنها تتسم بالتعاون والنية الحسنة في التعامل المتبادل.

2 - أن صعوبات الحياة المشتركة في إسرائيل نابعة من حقيقة أن كل طرف يزعم أن هذه الأرض أرضه على مر الأجيال، ولكل طرف مبرراته الخاصة.

3 - أن الصراع العربي الإسرائيلي في الشرق الأوسط له تأثيره في العلاقات بين اليهود والعرب داخل إسرائيل.

4 - أن تراكم مشاعر الخوف والغضب والكراهية والعداء يؤدي إلى التحامل والسلوك القائم على أسس غير عقلية أو منطقية.

5 - أهمية إحراز اتفاق سياسي لحل النزاع في الشرق الأوسط.

6 - التأكيد على أن العملية السياسية من أجل الحل الشامل عملية طويلة ومعقدة.

7 - أنه من الضروري أن يسهم الطرفان في إقامة علاقات جوار طيبة في دولة إسرائيل.

8 - أن علاقات الجوار الطيبة ستعجل بالحل المنشود.

9 - أن هذا يتطلب من الطرفين معرفة كل منهما للآخر.

ويذكر (منتصر، 2003) أن الأدب العبري عامة وأدب الأطفال خاصة يصور اليهودي في صورة رجل دين يتعبد بتلاوة أسفار التوراة ليختم بها صلوات يوم السبت، ويصور العربي في صورة رجل متوحش ولص قاتل أسود اللون. والقصص تصور العرب على أنهم قتلة ولصوص ويجب الأخذ بأسباب الحذر منهم والاتحاد لمواجهتهم.

ويوضح منتصر أن الأدب العبري يغرس في نفوس الأطفال فكرة أن الخرائط التاريخية قد تتغير، ويحرض الدارسين على المشاركة في ذلك عندما يحين الوقت ويؤدون دوراً في الحفريات واكتشاف الآثار وأن عليهم أن يتذكروا أن ما يحدث في الحاضر سوف يحدد وجه المستقبل.

أما مركز مراقبة تعزيز السلام (CMIP، 2002) فيقول في تقريره عن العرب والفلسطينيين والإسلام والسلام في مناهج التعليم في إسرائيل أن هناك اختلاف بين المناهج الحكومية والحكومية الدينية من ناحية ومناهج التيار الاثوذوكسي الأعلى the ultra-Orthodox stream من ناحية أخرى حيث تعزز الأولى السلام والتسامح وتكرس الثانية التعالي واستخدام العبارات السلبية.

ويذكر (عطوي، 2002) أن المرتكزات الأساسية للأيديولوجيا الصهيونية لم تتغير منذ مقررات مؤتمر «بال» في سويسرا في العام 1897م باستثناء بعض العناصر التي أضيفت بعد قيام دولة إسرائيل في العام 1948م.

فلذلك نجد أن المناهج الدراسية الإسرائيلية ترسخ لدى الأطفال الإسرائيليين فكرة أنهم «شعب الله المختار» وتكرس الحق اليهودي في فلسطين. وأن عودة اليهود إلى فلسطين إنما هو تحقيق لوعد إلهي ورثوه عن أجدادهم.

obeikandl.com